انتقاد فتاة مصر

قبل ان ابدأ بانتقاد هذه الرواية البديعة في بابها اقول اني كنت اقرأ فتاة مصر كما كنت اقرأ بقية مقالات المقتطف الرائعة واعيد النظر فيها كما اعيد النظر في تلك فتأخذني نشوة من حسن اسلوبها وما اودعهُ الكاتب في مطاويها من افكاره العمرانية وانتقاداته البديعة الفلسفية إنْ في ما يتعلق باسباب الحرب الروسية اليابانية او في ما يتعلق باحوال مصر الاجتماعية والزراعية او في ما يتعلق بالماليين وتأثيرهم في هيئة المدنية الحاضرة

والحق يقال اني كثيرًا ما كنت اقدّم قراءتها على قراءة بقيّة مقالات المقتطف لا لمجرّد الفكاهة واللذة المرادة من كتابة اغلب الروايات بل لما كنت ارى فيها من الحقائق العمرانية والسياسية وما تربي اليهِ من اصلاح الاخلاق والعادات والتعريض ببعض ما اضرَّ بنا من الاقبال على ما كاد يشرف بنا على شفا جرفٍ من الافلاس والخراب واشتدَّت غوايتنا بهِ حتى عمَّ او كاد يعمُّ شبّانًا وفقيرنا عالمنا وجاهلنا تاجرنا وصانعنا واعني بذلك مضاربات البورصة والتقحّم فيها على الخراب ونحن لا نشعر

واقول ايضًا اني بعد ان قرأتها اجزاء وقت صدورها عدت فقرأتها مجلدةً مرتين فما زادتني قراءتها الاَّ اعجابًا بها ويقيني انها من خير ما أُلف لتهذيب شبابنا وانها اجدر كتاب لحد الان يحسُن بنا ان نضعهُ بين ايدي شبابنا وطلبة مدارسنا يقرأونهُ اولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير مضافًا الى ذلك فصاحة الالفاظ وبلاغة التركيب وسلامة الذوق . وثانيًا لما فيها من المزامي والمقاصد الحكميّة والفلسفة العمرانية ولا سيما ما ينبغي تنبيه اذهان الشبان اليهِ من قوّة المال والماليين وانهُ لا تقوى امة او تصير شيئًا مذكورًا ما لم يجتمع عنصها بكد افرادها واقتصادهم رأس مال يعدّونهُ لطوارق الحدثان يغالبون بهِ بقية الامم ويزاحمونهم على موارد التجارة والانتفاع وينازعونهم بكثرتهِ السطوة والوجاهة

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

وهنا اشكر لاستاذي الدكتور صروف واضع هذه الرواية لانهُ اجاب ملتمسي في طبعها على حدةٍ ليتنفع بها التلامذة خصوصًا وانها وفَّت بالغاية التي من اجلها التمست منهُ طبعها وحدها وهي الآن كتاب مطالعة لاكثر من مئتين بل مئتين طالبًا يتمرنون بمطالعتها على تطبيق قواعد النحو على ما يقرأونهُ ويتحدّون اساليبها في الكتابة والانشاء وقد وفَّت بهذين الغرضين فضلاً عما يجدهُ فيها الطلبة من الفوائد العمرانية والاخلاقية المقصودة راسًا من تأليفها

ولنرجع الآن بعد هذه الديباجة او التمهيد الى غرضنا الاصلي من الانتقاد عموماً والنقاد هذه الرواية خصوصاً

انواع الانتقاد

(اولاً الانتقاد النحوي)

واكثر كتابنا اذا انتقدوا وجّهوا همّهم الى هذا النوع من الانتقاد فاذا رأوا عرضاً المرفوع منصوباً او مجروراً او بالعكس اكثروا الصياح والجلبة على الكاتب فرموهُ بالجهل والفهاهة واكثروا من ذلك يهولون بعلمهم وفضلهم واتخذوا ذلك ذريعة للتنقّص من الكاتب والغضّ من كرامتهِ والايحاء على علمهِ وفضلهِ تهكّماً واستخفافاً واولى بالمنتقدين منا ان يُقلعوا عن هذا الانتقاد التافه فانهُ ان دلَّ على علم من جهةٍ فهو دليلٌ على جهلٍ من جهةٍ اخرى . وسببهُ ان اكثر ما يقع من هذه الاغلاط انما يقع عن تسرُّع الكاتب وقلما يُخِلُّ مع ذلك بفصاحة او بلاغة لان المعنى يكون ظاهراً ظهور الصبح حتى قلما يفطن لهُ احد الا المتحرّي لهُ بل ربما كان ما عُدَّ غلطاً لا يُعَدُّ كذلك الاَّ على مذهب مخصوص . والعاقل يعلم انَّ علامات الاعراب في اللغة انما هي من قبيل الاتاقة والمواضعة لا من قبيل الجوهر والحقيقة فمن ثمَّ قد لا يُعَدُّ الاخلال بها اخلالاً يقضي على المخلّ بالجهل وعلى الناقد بالتفضل بل كثيراً ما يكون الامر على عكس ذلك لان لسان حال الناقد المختل بهذه الاغلاط المُقطّعة لها يشهد عليهِ ولاسيما اذا جرى على مذهبٍ مخصوصٍ أنهُ حسب العرض جوهراً والآلة غايةً وهذا هو الجهل بعينهِ . هذا ولو كان الاعراب امراً جوهرياً في الخطاب والكتاب لما سقط من العبرانية والسريانية خطاباً وكتابةً وهما اخا العربية او اقلهُ لما سقط معظمهُ من على السنتنا في كل البلاد العربية حتى من على السنة المشتغلين بالنحو لاشغل لهم سواهُ وقد فرّغوا كل اوقاتهم لدرسهِ وتدريسهِ لا يعرفون سواهُ ولا يحفلون بغيرهِ من بقية انواع العلوم

ولا يؤخذ من قولي هذا انَّ النحو علم لا ينفع وجهالة لا تضرُّ حاشا لي ان اقول ذلك وانا من معلّمي النحو والمشتغلين بدرسهِ وتدريسهِ منذ عشرين سنة ويزيد . بل انا ممَّن يعتقدون ان علم النحو العربي قد يكون بفضل استاذٍ من افضل انواع العلوم التي تدرَّس في المدارس العالية لتقوية قوى العقل في الشبّان ولاسيما قوى الفهم والقياس والاستنتاج . وهو من هذا القبيل لو وُضع في كفة ميزان ووُضع في الكفة الاخرى علمان آخران — اي علمين كانا — المنطق والفلسفة — الجبر والهندسة — الكيميا والفلسفة الطبيعية — الحيوان والنبات — التاريخ

واللغة الخ – لرجحها فهبطت كفتهُ بسرعة الى الارض وشالت الاخرى الى السحاب . ولكني مع اعتقادي هذا لا ارى انتقاداً ! تافهاً على كتاب علم او فلسفة اتقه من الاقتصار على انتقاد هذه الحركات والسكنات الاعرابية والتهويل بها كأنَّ العلم كلَّهُ في تحرّيها والجهل كلَّهُ في الغفلة احياناً عنها . اقول ما اقولهُ وانا احمد الله ان فتاة مصر لا مجال فيها لهذا الانتقاد التافه فاني لم الحظ اغلاطاً من هذا القبيل الاَّ ان تكون غلطةً مطبعية ظاهرة للعيون ظهور الشمس في رائعة النهار عاشا عين المتمنّت المتخلق في النحو ولا اذكر اني مررت على غلطة من هذا القبيل او ما يضارعها الاَّ في صفحة ٢٦ آخر الوجه فقد جاء فيه هناك – انا لا اطيق أتلقى نفسك في ايدي هؤلاء اللصوص – والمرجَّح انَّ الكاتب اراد أن تلقي نفسك – فسقطت النون في هذا الموضع غفلةً من صنّيف الاحرف او تسرُّعاً من الكاتب ولم يشعر بذلك كما يحدث كثيرًا مع كل كاتب على ما يُعلَم بالاختبار (١)

(ثانياً الانتقاد البياني)

وهو اعلى شأناً واكثر فائدة من الانتقاد على مرفوع او منصوب او مجزوم او مبنيّ على السكون او احدى الحركات . ومدارهُ على التعقيد والالتباس فحيثما وُجد هذان فهناك محلُّ النقد واما حيث البيان وظهور المراد على اتمهِ في المفردات والتراكيب فلا موضع لهُ وإن تحمّل لهُ موضع مع خلو الكلام عما ذكرنا من الالتباس والتعقيد فهنالك الخبط والجهل الفاضح (وان كانا لا يُعلمان عند كل الناس) وليس مرادي الآن ان اتطفل في هذا الموضوع من النقد وبيان جميع ما يدخل تحتهُ فانهُ بحرٌ واسع لا ساحل لهُ . واكثر الكتب الموضوعة في فن البيان مما يُطبَّق الانتقاد على موافقتهِ لضوابطها او مخالفتهِ لها غير مجرَّح فيها ولا ترجع ضوابطها الى اصول كليَّة لا مجال للاعتراض عليها ولذلك كان الذوق السليم اولى ان يحكَّم غالباً دونها وهو اذا رجعنا اليهِ في انتقاد فتاة مصر رأيناها لا غبار عليها الاَّ في مواضع قليلة جدًّا واكثرها من قبيل استعمال الفصيح مع وجود الافصح او ما يقارب ذلك . ومن هذه المواضع ما جاء في وجه ٤٠ – وانفضَّ رأيهم على ان الخواجه لا في يدبر الامر بحكمتهِ – اي وانفضَّ مجلسهم فان الانفضاض في الاصل للمجلس لكن لحصول الرأي في ذلك المجلس نُسب الانفضاض اليهِ . وهو من قبيل اقامة الحالّ في المكان مقام

(١) [المنتطف] لقد لحوظ انطاق الناس بما يتطفون به عادةً فكلمة « انا لا اطيق » مقولة على هذه الصورة مقطوعةً اي انا لا اطيق ما تفعل او ما يفعل والجملة بعدها استئنافية او ابتدائية ولو وضعت نقطة بعد كلمة اطيق لكان ذلك ادلَّ على المراد

المكان ويتلون لهُ بقولهم – ونادى اصحابُ الجنة اصحاب النار – اي جهنم لكن لما كانت الملابسة بين الرأي والمجلس اكثر بعدًا مما في بين النار وجهنم في الآية التي يستشهد بها كانت لذلك عبارة فتاة مصر من قبيل استعمال الصحيح الفصيح دون الافصح . ومما يجري هذا المجرى ما جاء في صفحة ٤٣ حيث يقول – فكأنها اموال تقترضها الحكومة وتُعطيها للاهالي بربًا معتدل لا يستطيعون الاقتراض بدونهم – وكان الاولى على ما ارى لو قال – لا يستطيعون هم ان يقترضوها بربًا مثلهِ او بربًا من مثلهِ . وكذلك ما جاء في وجه ٥٦ – وحليمة اخت حليم بك من اجمل البنات اللواتي وقعت عليهنَّ عيني . ووجه ١٠٧ – كلاَّ ولكنَّ هنري نفسهُ اخذ مكتوبها وكتب لي حاشية فيهِ يقول فيها. وتركيب العبارتين فصيح لاعتبار عليهِ الاَّ ان حسن الوصف يقضي بتأخير المجرور عن (عيني) في العبارة الاولى وتقديمهِ على (حاشية) في الثانية . ومع ذلك فالفرق بين العبارتين على اصلهما وبينهما على ما صارتا اليهِ زهيدٌ جدًا ولا سيما في العبارة الاولى . وربما وجدت مواضع اخرى من قبيل العبارتين اللتين ذكرناهما لم انتبه اليها ولكنها قليلة جدًا . وبالاجمال اقول ان الذوق السليم يشهد ان "فتاة مصر" جاءت من اولها الى آخرها كأنها النيل المبارك يجري مدًا بعظمتهِ وجلالة قدرهِ بين الجزيرة والجيزة في جوار القاهرة . واليك بعض شذرات منها

هنري – اذًا انتِ تفكرين فيهم اما انا فاني باذل جهدي لكي انسى ما مضى فلا استطيع ويخطر ببالي احيانًا ان اعود من السويس ولكن السفينة تقوم صباح الاثنين ولا تقوم سفينة بعدها الى اليابان ترًا الاَّ بعد اسبوعين ومهمتي تقضي عليَّ بالذهاب في هذه السفينة وقد ضاقت بي الحيل ولا اعلم كيف اعمل . ايجوز ان اضحي عواطفي كلها لاجل عمل لا ينالني منهُ ربح مادي ولا ادبي . لماذا نذهب الى بلاد اليابان ؟ لخدمة الماليين لكي تكثر اموالهم اما جمهور الاهالي الفلاحين والمدنيين والصنَّاع وهم التسعة الاعشار فلا يستفيدون شيئًا . والماليون ايضًا لا يستفيدون لان زيادة المال لا تزيد الراحة بل تزيد التعب . هذا لورد بنشيلد تقدَّر ثروتهُ باكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ اليومي باكثر من ثلاثة آلاف جنيه وقد سمعت منهُ ان ما ينفقهُ على نفسهِ في ما كل ومشرب وملبس لا يزيد على ثلاثة جنيهات في اليوم يأكل في الصباح بيضة ويشرب كاسًا من اللبن والقهوة ويأكل الظهر قطعة من السمك وقطعة من اللحم وقليلاً من الخبز والخضر والفاكهة ونحو ذلك في المساء وان زاد بلي بالتخمة ويلبس مثل ابسط الناس وما هو الاَّ وكيل على اموالهِ يهتمُّ نهارًا وليلاً بتشغيلها وتثميرها فتربطنا مبلغهُ من الثروة لزوجتنا طمعًا وتعبًا . انظري كيف نحن الآن

مسخّران لغيرنا . كيف دست قلبي وعواطفي وخرجت من بيت واصف بك وابنهُ على فراش الموت ولا امل ان اراهُ بعد الآن وجيبهٌ تبكي وتنوح ويكاد قلبها ينفطر حزناً عليهِ تصوري نفسكِ مكانها وان مركبة التراموي دامستني فقتلتني اوكادت ولكِ حبيب او صديق لا بدَّ لهُ من ان يتركك في تلك الساعة تصوري نفسكِ مكانها

فاغرورقت عينا دورا بالدموع وقالت لهُ اني اعرف ما يختلج في فؤادك وأؤكد لك يا هنري اني احب هذه الفتاة كما تحبها انت واني آسفة جدًّا لفراقها على هذه الصورة ويكاد قلبي ينفطر عليها وعلى امها ولكن الواجب اولى بالاتباع ونحن مرتبطان بهذا السر ولا مناص لنا منهُ واذا بقينا في مصر لا تقدَّم ولا نؤخر ويقيني ان امين بك يقوم من هذه السقطة واظن اننا نجد تلغرافاً منهم في السويس يطمئننا عنهُ والاَّ فلا بدَّ لنا من ان نرسل تلغرافاً لسال بك عن صحتهِ (فتاة مصر وجه ٥٢ — ٥٣)

اقرأ ايضاً وجه ٥٧ و ٥٨ الى آخر السطر الثامن منهُ . ووجه ٦٦ و ٦٧ الى آخر السطر السابع منهُ . ووجه ٧٠ الى السطر الخامس قبل الاخير . ووجه ١١٤ الى آخر كلام لادي برون وجه ١١٦

ولو اردت ان اشير الى كل كلام انيق معجب للاغتباط او للحكمة المودعة فيهِ او للحقائق العمرانية الواقعة فعلاً ونحن في غفلةٍ عنها لأشرت الى اكثر من ثلثي هذه الرواية البديعة ولا اراني مبالغاً

(ثالثاً الانتقاد اللغوي)

وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالبكيات المضحكات ولا احاشي جلَّة من اكابر علمائنا وكتابنا سمَّا . والغريب ان بعضهم يكاد يتكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الاَّ ما نصَّ عليهِ في كتب امَّهات اللغة فان لم ينصَّ الصحاح او الفيروزابادي او لسان العرب على اختار مثلاً يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانهُ على سعة علمهِ لم يرُقهُ على ما يظهر استعمال بعضهم " اختار " مع معرفتهِ ان قد استعملها قبلهُ الامام ابن الفارض المشهور . وبعضٌ غيرهُ من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمَّى بردّ المختار على الدُّرّ المختار . وكنت اتعجب من تضييق هاتهِ الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونهُ في الاخذ بهذه الخطَّة التي اخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة هي من اشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها

لهُ حق في هذه الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبهُ العلاَّمة الفيلسوف الامام الغزالي في الردّ على المشبّهة والحشوية في كتابهِ إلجام العوام فترجّح لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاسوا عليهِ لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فادّى قياسهم لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في الفاظ اللغة حيث تمسّ الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منهُ عقلاً او نقلاً وبيان ذلك

انهُ ورد في الكتاب والسنة الفاظ في حق الباري سبحانهُ وتعالى توهم الجسميَّة كاليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما اخذها الحشويَّة دليلاً على التجسيم واستعملوا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدَّى الامام للرد عليهم واليك بعض كلامهِ قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغهُ حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليهِ فيهِ سبعة امور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكفّ (٧) التسليم. ثم فسَّر الامساك بما نصهُ بالحرف الواحد قال : واما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيهِ والنقصان منهُ والجمع والتفريق بل لا ينطق الاَّ بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم افاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابهِ وحري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليهِ فانهُ مما تتطاول اليهِ الاعناق وتطمح الى مثلهِ الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي انَّ علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى اهل هذه النشأة التي اشرنا اليها فعمَّموا الامساك في كل الفاظ اللغة مع ان الامام خصَّ بعض الفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محظور من استعمالهِ فابطلوا القياس بالقياس فيا للغرابة ويا للفهم والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضاً من اهل هذه النشأة يتسامحون في القياس الاَّ انهم يتأبَّون كل لفظ قاسهُ العامة او استعملهُ على سبيل الكناية او المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور بحيث لم يخفَ على هؤلاء . وربما استعملوا بدلاً من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الاصل قياس او مجاز من ذلك فاذا خابرهُ في مسألة كذا او تخابروا فانهم لا يسوّغون استعمال هذه اللفظة ويعدلون عنها الى قابلهُ في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبأ

والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الاّ انّ الخبر اعرف واعم واشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون انها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكتف في التعاون اقرب للفهم لانهُ اكثر مشاهدةً من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الاّ لانّ العامّة تستعملهُ بالمعنى الذي يراد استعمالهُ او وضعهُ لهُ . وبعضهم يشدّد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعملهُ العامّة مع انها "كعاقلة الرجل" من عال عيالهُ كفاهم معاشهم ومأنهم او من عال الشيء فلانًا اهمّهُ ومفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم او الذين يهمونهُ ولا اوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والطارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جرّ اليهِ ما استهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسميّة على ما المعنا اليهِ . فيا لله متى نعدل عن هذا التعرّج الذي يقضي العقل والنقل بتركهِ

ولا يسعني المقام الآن ان اخوض في هذا البحث الى نهايتهِ وربما عدت اليهِ في وقت آخر اذا فسح لي المتعطف الاغرّ مجالاً بين صفحاتهِ [1] ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٧١ آخر الوجه — ولكن الرجل الغنيّ المطموح فيهِ يتناشهُ الناس من كل جهة — فان كان مبدأ الفتة التي اشرنا اليها صحيحاً كانت لفظة — يتناشهُ — فيها شيء من العاميّة وعندي ان هذه العاميّة هي في منتهى الفصاحة ويا ليت الكاتب جاء في روايتهِ بمئات من امثال هذه اللفظة فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيّب حتى عن العامّة

(رابعًا الانتقاد على الرواية)

كأن يستشهد الكاتب ببيت من المنظوم او بفقرة من المنثور فينسبها الى غير قائلها او يورد فيها روايةً اخرى غير المشهور فيتذرّع المنتقد بما ورد من الخطإ الظاهر او الحقيقي الى التنقّص من الكاتب والتهويل بما ارتكبهُ من الخطا . وقد يكون كل ذلك مما لا طائل تحتهُ بالنظر الى غرض الكاتب . وقد ورد من هذا القبيل في فتاة مصر وجه ١٧٦

فقد تقلب الايام حالات اهلها وتعدو على اسد الرجال الثعالبُ

(١) [المتعطف] على الرحب والسعة فان المبتدئين بالكتابة لهم غاية الاحتياج الى من يشدد عزائمهم ويسهل عليهم السير في سبيل القياس

وفي البيت رواية اخرى وهي[1] وتمدو على اسد الدحال الثعالبُ

وارجح انها الرواية الصحيحة ولكني لا ارى هذا التصحيح يزيدني فضلاً او علماً كما انهُ لا ينقص كذلك من قيمة الرواية او من علم الكاتب وفضلهِ

وبالاجمال ان كلاً من الانتقادين في اللغة وفي الرواية ولا سيما الاول قد يكون تافهاً وقد يكون معتبرًا . اما المعتبر فهو الانتقاد على الالفاظ القلقة في مواضعها وعناك الفاظ ارسخ منها واشد استحكاماً في مواضعها يمكن ان توضع بدلاً منها . او تكون الفاظاً مترادفة لا يعرف الكاتب الفرق بينها في اصل الوضع فيظن ان المجاز المستعمل في الواحدة منها يصح في صاحبتها فيخطئ الغرض ويفوتهُ بذلك طلاوة الكلام وحسن وقعهِ في النفوس والاسماع . واما هذا الانتقاد على الالفاظ لانها مقاسة مع ظهور دلالتها على معناها ولا ظهور الصباح او لانها مما تستعملهُ العامة مع انها في مواضعها مما لا تقومُ لفظة مقامها وهي مع ذلك جارية على مجاري القياس في الاشتقاق والمجاز لا خلل فيها من هذا القبيل الاَّ انها غير واردة في امهات اللغة المتداولة فمن الانتقاد الجدير بنا الافلاع عنهُ وان اسفَّ اليهِ قومٌ لهم شأن ومكانة في عالم اللغة والادب

(خامساً الانتقاد المعنوي او الحقيقي)

وهو الانتقاد المعوَّل عليهِ وبهِ يتنافس العلماء والفضلاء . والمقصود منهُ تجريح ما في الكتاب المُنتقَد وبيان مواضع الخطاء فيهِ إن وُجدت والاَّ فبيان محاسنهِ وما فيهِ من المواضيع المهمة النافعة للقرَّاء . ومدار هذا النقد على موضوع الكتاب فان كان كتاباً تاريخيًّا مثلاً فتجريح النقول فيهِ وبيان ما اذا كانت ممَّا يعول او ممَّا لا يعوَّل عليها من جهة وما اذا كانت مستوفاة من جهة اخرى . ثم بيان ما اذا كان المستنتج من هذه النقول جاريًا على مقتضى الاستنتاج العقليّ الصحيح او مأويًّا بهِ عنهُ

وهكذا يقال في ما اذا كان موضوعهُ ادبيًّا او عقليًّا او علميًّا او سياسيًّا فانهُ ينظر اولاً الى تمحيص الحقائق والمباديء ثم ينظر ثانياً في تمحيص المستنتجات من تلك الحقائق وقد لا تنشأ احياناً فائدة هذا الانتقاد اذا كان مستوفى عن فائدة الكتاب المنتقد ويظهر فيهِ مقدار علم الكاتبين المنتقِد والمنتقَد عليهِ وفضلهما . ولا تكون نتيجة مثل هذا الانتقاد الاَّ تنوير البصائر وتوسيع نطاق الحقائق وما يترتب على ذلك من الفائدة علماً وعملاً

(١) [المقتطف] ما ذكرناهُ ليس رواية اخرى بل تصحيف في الطبع لم ينبه له وقت تصحيح المسودات فشكر فضل المنتقد على تنبيهنا اليهِ

موضوع فتاة مصر وابحاثها

موضوعها او الغاية منها فكافي تهذيبي وابحاثها اجتماعية عمرانية . اما الفكاهة فيها فاحكم انّ الكاتب وفّاها حقّها من تشوق القرّاء الى الرواية وحديثهم فيها والذي اعرفهُ في هذا الصدد انما اعرفهُ من نفسي واهل بيتي وبعض اصدقائي الذين يقرأون المقتطف وهؤلاء كلهم كانوا اذا تأخّر عنهم المقتطف يوماً خالوهُ اسبوعاً ومعظمهم على ما اعلم كانوا يبادرون حين وصوله اليهم الى فتاة مصر . وقد لحظت ممن اشرتُ اليهم جميعهم انّ غضبهم على عزرا كان شديداً وبلغ استياؤهم مبالغهُ عند ما قرأوا الفصل الثامن والعشرين والثلاثين الاول في التهييج والثاني في المرافعة واشتُمّوا منهما نجاة عزرا من الحكم عليهِ فلما ظهرت الحقيقة سرّي عنهم وبدت عليهم امارات الرضى والابتهاج

واما الغاية التهذيبية ففي وصف امرأة الخواجه لائي وامرأة واصف بك وابنتيهما وحليمة ودورا ما يفي بها . فان كل ما وصف بهِ هؤلاء السيدات او أُسند اليهنّ من الاقوال والافعال كان غاية في بابهِ في انهُ يرفع النفس في النساء الفتيات وربّات البيوت ويحبّب اليهنّ الفضيلة والتعقّل والطهارة وسلامة النيّة المقرونة بالفهم وصحة النظر ويرغبهنّ في كل ذلك . وكل ما قيل عن امين بك وما اصابهُ واصاب اهلهُ واصحابهم من الغمّ والحزن هو مما يكرّهُ بالبورصة وامثالها من المضاربات التي استغوت كهولنا وشبابنا . وهنا اذكر اني بعثت بهذه الرواية الى ابني في مدرسة الشوير فقرأها ولما رأيتهُ في مساحة عيد الفصح رأيت انهُ اثّر فيهِ جدًّا ما قيل عن امين بما كرّه اليهِ البورصة وبدا لي منهُ ما يشفّ عن شدة احتقارهِ لها ولمن ينطوّح جهلاً في اشغالها مع انهُ لا يتمّ الثانية عشرة من عمرهِ قبل يوليو القادم . ولا اقول انهُ فهم كل ما فيها من المطاوي الفلسفية ولكني اقول انهُ قرأها فتفكّه بقراءتها واستفاد منها واقلّ ما استفادهُ (وهو من اعظم الفائدة) انهُ تولّد فيهِ مقت ونفورٌ شديد من هذه المغواة الجهنميّة التي ذهبت باموال الكثير من تجارنا وابناء الاغنياء والكبراء منا

وكل ما قيل عن هنري برون هو في بابهِ خير للشبان والطلبة من عشرين خطاباً موضوعها الترغيب في الجدّ وعلو الهمّة والتجافي عن البذخ والاسراف وانصراف النفس الى المعالي وبذلها في الواجب وخدمة البلاد والامة والحكومة

واما بقية الاغراض العمرانية من قوة المال والماليين واسباب الثورة الروسية فيكفي الفهيم اللبيب ما اودعهُ الكاتب فيها من الحقائق والمباحث الدقيقة مما هو غاية في بابهِ . وليس لي شيء اقولهُ في انتقاد هذا الموضوع الاّ تحفظ الكاتب وهو ما يتطلّبهُ العزّ وحنكة السن وخبر

للكاتب ان يعرف القارئ ما يريد ان يقوله من غير ان يقوله . الاَّ اني لا انكر ميلي الى تجريح ما جاء به الكاتب في صدد الكلام عن مبدإ تنازع البقاء وبقاء الانسب الاَّ اني بعد طول الفكرة وجدت نفسي لا اقوى بعبارتي على تصحيح ما قيل في هذا الباب الفلسفي الواسع الاطراف وان كنت اشعر بنفسي اني اقوى على ادراك ان هنالك خطأً وشيئاً يقتضي التجريح

والخلاصة ان هذه الرواية بديعة في بابها واسلوبها البلاغي وايحائها والذي اعتقده انهُ لم ينسج بعد احسن منها ولا مثلها وقد خلت من كل تضليل تاريخي يمكن ان يقع في الروايات التاريخية ووقع شيء منهُ في رواية قلب الاسد وما هو على شاكلتها من الروايات كما انها خلت ايضاً مما قد لا تخلو منهُ رواية فكاهية مما يحرّك النفس الشهوانية او عاطفة الحب الطبيعي بما يضرُّ الشبّان والشابّات ويدفعهم الى ما وراء الحد الذي لا يحمد اندفاعهم اليهِ . وغاية ما اقولهُ في هذا السدد اني لا اخشى مغبةً من قراءتها على تلميذي او على ابني او ابنتي او او يجزي الله مؤلفها خيراً ولا اقول ما اقول تقرُّباً من كاتبها فانهُ استاذي بكل ما تحتملهُ هذه اللفظة من المعنى الحقيقي للاستاذ وانا تلميذهُ بكل ما يجب ان تتضمَّنهُ لفظة تلميذ من المحبة والاعتبار . وليس بين الاستاذ والتلميذ اذا كان على هذه الصورة ما يصوّغ ان يتوهم فيهِ انهُ من قبيل التقرُّب ومجرَّد حب الزلفى بوجه من الوجوه والسلام

رابطة السلام

لغة القتال

لا شيء في محكمة لاهاي يقضي على الخصوم برفع قضاياهم اليها . وقد قال البعض ان ذلك من دلائل ضعفها اما انا فاقول انهُ من دلائل قوتها فهي مثل القوانين الدولية لم يتقيد احد باتباعها ومع ذلك تراها متَّبعة . لكن كثيرين فرغ صبرهم فيطلبون الاسراع في ابطال الحروب ويفرضون على الدول ان تتقيَّد بعرض مشاكلها على هذه المحكمة . الاَّ ان التأني احكم والامور مرهونة باوقاتها والسلم لا يأتي بالعنف بل بالرجوع الى حكم العقل والضمير . في كل المعاهدات التي عقدت حتفظت الدول الكبيرة لنفسها الحق بعدم التسليم في المسائل التي تتعلق بشرفها ومصالحها الضرورية التي يتوقف عليها كيانها . وهذا امر لا بدَّ منهُ في البداءة وسيتسع نطاق المسائل التي تعرض للتحكيم رويداً رويداً . ولا شبهة في ميل الناس الى ذلك ولكن لا نصل الى الغاية المطلوبة الاَّ بالصبر والتأني